لاجئة في النظارة

الى تلك المشردة الفلسطينية التي باتت في سجن النظارة بدمشق..
وراء جدار الشاعر السجين.. في احدى ليالي شباط ١٩٥٤

... وشق سكوني نحيب مرير .. تقطّعه شهقة عاريه !...
وألقيتُ سمعي.. وراء الجدار.. وعلّقتُ بالصمت انفاسيه..
وقطّبت وجهي ببابي الحديد .. فتابع نظرته القاسيه !
هنا .. في دجى السجن .. لا رقة تُحَس ، ولا غلظة جافيه!
تساوى المشاعرُ .. في « كتلة » من الطين.. رائحة، غاديه..

★

وألقيتُ سمعي.. وظل النحيبُ.. وراء جداري يشق الدجى!
« أقبّل رجلكَ .. دعني هناك.. أريد «بعرضك» ان اخرجا»!
«خذوني.. خذوني.. لا استطيع..» وبُح على شفتيها الرجا..
«خذوني!...» وذابت بقايا الحروف.. على شهقةٍ لم تجد مفرجا!
وأسكت إعوالها.. «لطمةٌ» تلاشت مع الباب.. إذ أُرتجا!

★

وحوّلت طرفي.. أحس الجليد.. تزحلق في جسدي ينبضُ !
وكان الدجى.. قد رمى نصفه على مقلتي.. وهي لا تُغمضُ
ولمستُ فوق يدي «معطفي» وفي خاطري عالَمٌ يومضُ..
ولاحت جماجم قومي «بيافا».. وفي «القدس» عن وجهنا تُعرضُ
وتبصقُ جائعةً في الطريق .. وجوعان يهوي.. فما ينهض!

★

وابصرتها.. من وراء الدخان .. وانقاض منزلها الداثر ..
تخطّى « القذائف » مجنونةً على ومضة «الامل» الغائر..
وتترك اسرَتها في الركام .. تباغتُ « بالقدر » الفاجر ..
وتُلقي بعشرين.. من عمرها لظلمة درب .. بلا آخر...
لكل يدٍ لوّحت بالرغيف .. بمأوى .. بأي جداً عابر !!..

★

الوفٌ من «الحُرَق» الباليات.. تُبعثر في الارض، او تُحشَدُ !
الوف .. يسمونها «اللاجئين» .. على كل منعطف .. ترقد
ألوفٌ .. سننضم يوماً انا ، وأنت اليهم .. أتستبعدُ ؟ ! ..
وأختيَ .. من ضامني انها على الدرب - شوهاءَ - لا تقعد؟!
وأختك.. هل من حِمىً للذمار.. وانت وجيلك.. مستعبد؟!

★

أيهدأ في عربيٍّ .. دمٌ وفي أرضه.. طيف «مستعمر»؟!
أينعم في كوخه هاجع وفي صدره.. نصلةُ الخنجر ؟!
أيطربني في الربى صادحٌ بأشلاء قوميَ .. لم يشعر؟ !
أتخفق في قلمي لفظةٌ بهمي، وهمك.. لم تزخر ؟ !
أتهتزّ روحي .. لأنشودة إذا هي بالثأر .. لم تزأر ؟ !

★

ألوفٌ .. وهذا حديد السجون.. يُصك امامي على واحده!..
لقد صمتت بعد مر الشهيق .. وها هي .. ساكنة خامده!..
لقد ابصرت حولها « ملجأً » يلملم انفاسها الشارده ..
يقيها .. رياح الشتاء الرهيب .. يسكّن اوصالها الراعده ..
ألا إن هذا « الحديد» الغليظ ، لأحلى من الزعزع الباردة..

★

وأومأت من ثقب بابي الصغير.. الى «حارسي».. بعد حين غبر!
« وهذي «الزميلة».. ماخطبها؟..» وحرك حاجبه .. بالخبر..
وادركت.. يا لصغار الحياة. إذا ألقيت تحت «نعل» القدر!!
أتبحث عن سيرة عفة ؟ .. أتخشى على خلق قد «عثر»؟..
وأين ؟ .. أفي جسدٍ خائرٍ من الجوع؟.. في رمق يعتصر؟

★

أتجرم عشرون.. رف الصبا عليها.. مع الفاقة القاتله ؟..
ووجه .. تمرد فيه الشباب .. ولم يخل من فتنة ذابله ..
وأنثى .. رأت - عدها ما تشاء - رأت نفسها «عشبة» حائله..
رأت نفسها.. «كتلة» في الطريق .. تمد اليك يداً سائله ...
أتجرم إن عثرت «بالكمال» .. و«بالنخبة»، الصفوة، الكامله؟

★

ألا قهقهي .. ما يشاء الحنا ومري بإثمك فوق الندم !..
وصبي على «الفاضلين» الدمار.. وألقي على «الفاضلات» الحمم!..
على بؤسك ارتفع «المجرمون».. على عارك اتشحوا «بالقمم»!
ألا قهقهي .. واسخري بالحياة .. برحمتنا ، بالأسى، بالألم..
فما كان باري الوجود العظيم .. لينقم من «عدم في عدم»!..

★

ألا قهقهي.. لا ألوم الحياء.. إذا ازورَّ عن وجهك الشاحب..
عفافك .. من وطني قطعةٌ تمزّق كلاً .. يد «الغاصب»!
أريني أميناً .. على حرمةٍ وأشلاؤنا نُهبة الناهب !..
وأطراف أرضي مبتورةٌ ، وثارات قومي .. بلا طالب ..
متى يستفيق التراب الخضيب .. فيفتح شدقيه «للخاضب» ؟!

★

ألا قهقهي.. بعد سيل النحيب؛ وعودي الى الدمع، بعد المرح!
فما أنت إلا جحيم الشقاء.. على الارض، ارض الجدود.. انسفح!
و«مأساتنا» .. كلما عُصّبت تصدّع جرح بها، وانفتح..
مصير « الملايين » من امتي على الدرب «يا اختهُ» مُطرح
لنا عودة ؛ ولتثق دارنا .. أبى البغيُ، في دارنا، أم سمح!

دمشق – سجن النظارة **سليمان العيسى**

من ديوان : «أعاصير .. في السلاسل» المعد للطبع